

الحلقة الأولى

سلسلة أنتشار المسيحية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا قد انتهينا من دراسة سفر أعمال الرسل، الذي تحدث لنا عن بداية أنتشار المسيحية، وتأسيس الكنائس المسيحية في الإمبراطورية الرومانية.

لكن السؤال هو: كيف أنتشرت المسيحية بعدئذ وعمّت العالم أجمع؟ للإجابة عن هذا السؤال ولفائدة المستمعين، لابد لنا أن نستعرض وباختصار شديد، كيف أنتشرت المسيحية خلال العشرين قرنا الماضية.

لقد تحدث لنا سفر أعمال الرسل عن بداية المسيحية وتأسيس الكنائس، في معظم مدن فلسطين وسورية ولبنان. ثم عن رحلات الرسول بولس الثالث في تركيا واليونان، حيث أسس الكنائس في مدن عديدة. لكن أنتشار المسيحية لم يتوقف بالطبع عند هذا الحد. إذ بالرغم من الاضطهادات الشديدة التي تعرض لها المؤمنون الأوائل، من اليهود والرومان الوثنيين، فلقد تابعت المسيحية أنتشارها، إلى كل أنحاء العالم.

ولهذا سنتحدث أولا عن الحملات التبشيرية التي قام بها الرسل الأوائل الآخرون. وسنبدأ بالرسول توما الذي شكك بقيامة المسيح، لكنه آمن عندما ظهر المخلص المسيح للتلاميذ مجتمعين، وأكد له شخصيا قيامته المجيدة. وتقول المصادر التاريخية أن توما ذهب وبشّر بالمسيحية في بلاد فارس أي إيران، ثم في بلاد الهند، حيث مات شهيدا. ويقول المسيحيون في الهند أن توما هو مؤسس كنائسهم التي تتبع الكنيسة السريانية.

وبشّر الرسول اندراوس أخو الرسول بطرس، في منطقة باتريا أختائية في جنوب اليونان، حيث استشهد هناك مصلوبا. وتمّ نقل رأسه عام ١٤٦٠ ألف وأربعمئة وستين إلى روما. أما الرسول نثنائيل الذي هو أيضا برثلماوس، فقد بشّر في بلاد الشرق، أي في آسيا. ويعتقد أنه زار أرمينيا، وقد مات شهيدا بانتزاع جلده، وذلك في عام ٦٨ ثمانية وستين ميلادية. وبشّر الرسول لبّاوس الملقب تدّاوس في الجزيرة العربية وسورية وبلاد فارس، وزار أرمينيا حيث استشهد هناك عام خمسين ميلادية. وأصبحت أرمينيا فيما بعد أول دولة تعتنق المسيحية وذلك عام ثلاثمائة وواحد ميلادية. أما الرسول يعقوب بن حلفى فيظن أنه بشّر في بلاد أرمينيا أيضا. وبشّر الرسول سمعان القانوني في مصر وليبيا وشمال افريقيا. ثم ذهب إلى أرمينيا وفارس حيث استشهد هناك. وبشّر

الرسول فيليبس في آسيا الصغرى أي تركيا، حيث مات هناك.

أما الرسول بطرس فلقد كان له دور كبير ومميز، كما علمنا من سفر أعمال الرسل، في تأسيس الكنيسة المسيحية الأولى وانتشار المسيحية. وكذلك كان للرسول يوحنا دور هام، وخاصة في كتابته لأحد البشائر الأربع. وظهور الرب يسوع المسيح له عندما كان منفيًا في جزيرة بطمس، حيث أوحى له بسفر الرؤيا، الذي هو آخر أسفار العهد الجديد. أما الرسول يعقوب بن زبدي أخو الرسول يوحنا، فلقد قبض عليه الملك هيرودس وقطع رأسه. كما علمنا من سفر أعمال الرسل. وكان بذلك أول شهيد من رسل المسيح الاثني عشر. وكذلك فإن الرسول متى الذي كان عشارًا، أي جابيا للضرائب، فلقد استخدم الله مهارته في التدوين لكتابة إحدى البشائر الأربع المعروفة باسمه. والتي برهن فيها لليهود أن المسيح قد أتم نبوءات العهد القديم. ولقد استخدم الله الطبيب لوقا أيضًا في كتابة إحدى البشائر الأربع المعروفة باسمه، وكذلك في كتابة سفر أعمال الرسل. واشترك لوقا في بعض جولات الرسول بولس التبشيرية، وخاصة في رحلته الأخيرة إلى روما.

أما مرقس والذي كان تلميذاً للرسول بطرس، فلقد ترك لنا البشارة المعروفة باسمه. و ذكر المؤرخ يوسيبوس بأن مرقس كان أول من نادى ببشارة الإنجيل في بلاد مصر عامة، ومدينة الإسكندرية خاصة. ويرجع الفضل إلى مرقس في تأسيس الكنيسة المصرية. وكُتِبَ الكنيسة القبطية حافلة بكثير من أخبار مجيء مرقس إلى مصر، وجهاده واستشهاده في مدينة الإسكندرية. وكانت الإسكندرية التي أسسها اسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ثلاثمئة واثان وثلاثون قبل الميلاد، مقر الفلسفات المختلفة، وفيها ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اليونانية. لهذا لم يكن غريباً أن يهتم الرسل الأوائل بالذهاب إليها، والكراسة فيها ببشارة الإنجيل. وتأسست في الاسكندرية مدرسة دينية مسيحية، اشتهرت حوالي عام مئة وخمسة وثمانين ميلادية، بزعامة الفيلسوف بنتينوس. وبلغت هذه المدرسة ذروة الشهرة في عهد المفكر المسيحي واللاهوتي إكلميندس الاسكندري، حوالي سنة مئتين وخمسة عشر ميلادية. وقد شرح إكلميندس في مؤلفاته عقائد المسيحية بمصطلحات وآراء فلسفية. وخلفه في زعامة كنيسة مصر ورئاسة المدرسة أوريجانوس العظيم. وقد بهر إنتاجه الدوائر الفلسفية والدينية في تلك العصور. وعُذِّبَ في السجن إبان الاضطهاد الروماني، مما أدى إلى موته سنة ٢٥١ ميلادية.

لاحظنا أنه ما أن انتهى القرن الميلادي الأول، حتى كانت المسيحية، وبالرغم من الاضطهادات العنيفة، قد انتشرت في بلدان ومناطق كثيرة من العالم القديم. وأصبحت المسيحية والمسيحيون حقيقة موجودة لا ينكرها أحد. كانت بالحق القرون الميلادية الثلاثة الأولى، مليئة بالاضطهادات الشديدة التي أثارها اليهود أولاً ثم الأباطرة الرومان. وقد قضى تحت الاضطهاد العنيف الألوف من زعماء الكنيسة وأساقفتها وعلمائها وأعضائها. كان الأباطرة الرومان واحداً بعد الآخر يصدرون أوامراً باضطهاد المسيحيين. وكان المسيحيون يُصلبون، ويلقون أمام الوحوش الكاسرة لتفتك بهم. لقد كانت فترة رهيبية، سقط فيها عدد لا يحصى من الشهداء. وبالرغم من هذا الاضطهاد العنيف، فقد خرجت الكنيسة غالبية منتصرة، لم تقدر النار ولا الحديد ولا الموت أن تفت في عضدها، أو تضعف من شوكتها. لقد انتصرت المسيحية بقوة المسيح المقام الغالب والمنتصر.

ولقد توجّ فوز الكنيسة في هذه المعركة، بالمرسوم الذي أصدره الامبراطور قسطنطين في سنة ثلاثمائة وثلاثة عشر، والذي أباح فيه لجميع رعايا الامبراطورية، وبينهم المسيحيون، أن يعبدوا كما يشاءون. ورد للمسيحيين كنائسهم المصادرة وأموالهم المنهوبة، وأغدق على الكنيسة مزايا عديدة. ولقد اعتنق الامبراطور قسطنطين نفسه المسيحية واعتمد في آخر سنة من حياته، وذلك عام ثلاثمائة وسبعة وثلاثون. وقيل أن ما دفع الامبراطور قسطنطين لإصدار مرسوم حرية العبادة، أنه شهد في أحد أمسية انتصاراته الحربية صليبا من نار يرتسم في الجو، وقد نُقشت فوقه هذه الألفاظ: في هذا انتصارك.

لكن الامبراطور يوليانيوس، خليفة قسطنطين ارتد عن المسيحية إلى عبادة الآلهة الوثنية القديمة، وقد أراد إحياء الوثنية لتناهض المسيحية. على أنه لم يضطهد المسيحية، وأباح الحرية لكل نوع من العبادات. لكن لم يكن من المتوقع أن تنجح الوثنية في منافسة المسيحية. ففي عهد خلفاء يوليانيوس عادت المسيحية إلى مكانتها التي أحلها فيها الامبراطور قسطنطين، لا بل صارت المسيحية دين الدولة الرسمي. وما أن حلّ القرن الخامس الميلادي حتى كان نجم الوثنية قد أفل، وغدت الامبراطورية الرومانية كلها مسيحية. وهكذا تمّ للكنيسة الظفر الكامل على أعدائها. لكن كان لهذا الفوز نتائجه السلبية أيضاً، وهو ما سنأتي على ذكره في اللقاء القادم إن شاء الله.

مستمعي الكريم، لقد انتصرت المسيحية بقوة روح الله القدوس الذي يسيرها ويقودها، وبقوة المسيح الحي المقام، وليس بأية قوة مادية أو عسكرية. وهذا دليل ساطع وبرهان حي يؤكد على حقيقة خلاص الله الذي أعلن للبشر جميعاً.